مشروع الشرق أوسطية والأمن القومي العربي

إعداد طالب الدكتوراه

كمال سالم الشكري

إشراف الأستاذ الدكتور عمر العبد الله ومشاركة الأستاذ الدكتور منصور الشكري

قسم العلاقات الدولية

كلية العلوم السياسية

جامعة دمشق

الملخص

الشرق أوسطية في الأساس دعوة صهيونية تهدف إلى تذويب الهوية الإسلامية والعربية في هوية جديدة تتسع للهوية الصهيونية، أمَّا الشرق الأوسط الكبير فهو مصطلح أمريكي يهدف فضلاً عن تذويب الهوية العربية والإسلامية في هوية جديدة تستند إلى الجغرافيا وحدها، وإلى إعطاء الولايات المتحدة في المنطقة دوراً كبيراً وأساسية .

وتكمن أهمية الدراسة في توضيح أنَّ مشروع الشرق أوسطية يهدف إلى طمس الهوية العربية وزوال النظام العربي من خلال ذوبان الوحدات القطرية العربية في ترتيبات شرق أوسطية اقتصادية وسياسية وأمنية.

إذاً فمشروع الشرق أوسطية يمثل واحداً من أخطر التحديات الجديدة التي تواجه الأمة العربية وأمنها القومي في القرن الحادي والعشرين، وإذا ما تم تحقيق هذا المشروع فسوف يبقى الأمن القومي العربي والمصير العربي أسيرين للمخططات الأمريكية ــ الصهيونية التي لا تخدم العرب ومستقبلهم.

أولاً / مصطلح الشرق الأوسط:

الشرق الأوسط مصطلح جغرافي وسياسي شاع استخدامه في أجزاء العالم المختلفة منذ بداية القرن العشرين [1]، إن التسمية ولـــو أنها قصد بها وبغيرها تقسيم الشـــرق إلى أقسام حســـب البعـــد والقرب من أوربا الغربية إلا أن الإقليم في الواقع هو إقليم يتوسط خريطة العالم بصفة عـــامة، والعالم القديم (أوربا وآسية وأفريقية) بصفة خاصة.

إن الشرق الأوسط إقليم من الصعب تحديده بصورة واضحة وقاطعة، ولا يرجع السبب في ذلك إلى أن الإقليم مجرد ابتكار لفظي في قاموس السياسة الدولية منذ أوائل القرن العشرين، ولكن السبب في صعوبة تحديد الشرق الأوسط راجع إلى أنه إقليم هلامي القوام، بمعنى أنه يمكن أن يتسع أو يضيق على خريطة العالم حسب التصنيف أو الهدف الذي يسعى إليه الباحث في مجال من مجالات العلوم الطبيعية أو الإنسانية أو التصنيف الذي تتخذه هيئة خاصة أو دولة أو وزارة مـــن وزارات الخارجية في العالم، ولذلك لم تتفق الموسوعات العالمية على تحديده بصورة قاطعة.

إن هذه الصعوبة في تحديد الشرق الأوسط نابعة من أن هذا الإقليم يتكون من عدة متداخلات طبيعية وبشرية شأنها في ذلك شأن معظم الأقاليم فضلاً عن ذلك يرتبط الإقليم بعامل جغرافي واضح الأثر في أرجائه كلّها، ذلك هو عامل المكان والعلاقات المكانية التي ميّزت وتميز الشـــرق الأوسط كمنطقة مركزية منذ القدم في علاقات الشرق والغرب القديم، وحديثاَ الشرق بمضمونه الحضاري – الاقتصادي عامة في آسية وأفريقية الشمالية والشرقية والغرب بالمضمون الحضاري – الصناعي العام في أوربا وأمريكا الشمالية وروسيا الاتحادية.[2]

هذه الأهمية المكانية جعلت الشرق الأوسط هدفاً للاستعمار الأوربي الغربي منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وأصبحت المنطقة أكثر أهمية منذ مـــا سمي بأزمة الطاقة عام 1973م، حيث إن هذه المنطقة أصبحت أكبر مصدراً للطاقة في الوقت الحاضر، فضلاً عن احتوائها على أكبر مخزون نفطي في العالم يتجاوز ثلثي احتياطي العالم من النفط[3].

إن الغموض الذي يكتنف تحديد إقليم الشرق الأوسط يعود إلى أن هناك نوعاً من المفهوم المسبق أدى إلى التباس بين ثلاثة مصطلحات في الغرب الأوربي وهي:الشرق الأوسط، الوطن العربي، العالم الإسلامي.

فالوطن العربي يشتمل على الجزء الغربي من الشرق الأوسط ويمتد خارجه إلى شمال أفريقية.

أمَّا العالم الإسلامي فيشمل الشرق الأوسط كلّه ويمتد فيما وراءه في شتى الاتجاهات الجغرافية والغموض الأكثر الــذي يجعل تحديد الشرق الأوسط أمراً غير سهل المنال يرجع إلى كثرة الأسماء والمصطلحات التي استخدمت في الماضي وتستخدم في الحاضر للإشارة إلى كل الإقليم أو إلى جزء منه ومن هذه المصطلحات [4].

الشرق : Ie levant

الشرق الأدنى : Near – East , Proche – orient

الشرق الأوسط : orient – Middle – East , Moyen

إن الكتابات المختلفة تكاد تجمع في الوقت الحاضر على استخدام مصطلح الشرق الأوسط كبديل للمصطلحات السابقة ففي الإنكليزية والفرنسية والعــربية وفي تصنيفات الأمم المتحدة، وفي كثير من الكتب السنوية التي تعالج أقاليم معينة يتردد اســم الشــرق الأوسط على أنه الإقليم الذي يشتمل على الدول من إيران إلى مصر ومن تركيا إلى اليمن. وقد يضيف كاتب أو هيئة (ليبيا والســودان) أو أحدهما، وبذلك يقتصر الشرق الأوسط على مجموعة دول غربي آسية وبإضافة مصر(وليبيا والسودان في بعض الأحيان) وفي نهاية الأمر نستطيع أن نقول: إن مصطلح الشرق الأوسط هو مصطلح أوربي استخدم منذ بداية القرن العشرين للإشارة إلى المنطقة التي تقع إلى الشــرق من أوربا الغربية، وليس إلى المنطقة التي تقع إلى الشرق من الصين أو اليابان أو روسيا.

وقد كثرت التقسيمات لهذه المنطقة حسب القرب أو البعد من أوربا الغربية، فهناك الشرق والشرق الأدنى والشرق الأوسط والشرق الأقصى، وكلها حسب القرب أو البعد من الدول الأوربية الغربية خاصة فرنسا وبريطانيا التي استعمرت هــذه المنطقة عقوداً من الزمن وما زالت تتدخل فيها لأهميتها الإستراتيجية والاقتصادية والأمنية بالنسبة إليها بصورة خاصة، وللغرب الرأسمالي بصورة عامة، ولذلك تسعى دائماً إلى وضع خطط ومشاريع لاحتواء المنطقة، ابتداء من طرح وزير الخارجية الأمريكي (جون فوستر دالاس) عام 1953 م مشروعه عن ضرورة حماية أمن المنطقة من الخطر الشيوعي.[5]

وما أكده مبدأ إيزنهاور في 5 من كانون الثاني عام 1957م، وكذلك آراء الرئيس الأمريكي جون كنيدي عن الأهمية القصوى للشرق الأوسط للسياسة الخارجية الأمريكية وذلك عام 1960م، وكذلك اهتمام الرئيس ريتشارد نيكسون عام 1973م في أثناء حرب أكتوبر وبعدها، فضلاً عن اهتمام كل من الرئيس جيمي كارتــر والرئيس رونالد ريغان بهذه المنطقة ووضع الخطط لاحتواء هذه المنطقة ضد الخطر الشيوعي السابق في أثناء الحرب الباردة بين المعسكرين.[6]

وقد عاد الاهتمام مرة أخرى في زمن الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأب بعد أحداث 2 آب 1990 م عندما أعلن عبر التلفزة الأمريكية في تشرين الأول من العام نفسه بشكل واضح وصريح بالقول (ذهبنا إلى الخليج ليكون القرن القادم أمريكيا)[7]، والخليج العربي هو جزء من الشرق الأوسط.

وبعد حرب الخليج الثانية عام 1991 وتزايد الوجود العسكري الأمريكي المكثف في المنطقة، وتوقيع اتفاق غزة – أريحا أولاً، والاتفاقيات الثنائية المنفردة بين الكيـــان الصهيوني وكل من الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، طرحت الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني مشروع الشـــرق أوسطية لاحتواء المنطقة ضمن المخطط الأمريكي الصهيوني لإجهاض المشروع القومي العربي في الوحدة والنهوض الحضاري.

ثانياً / مشروع الشرق أوسطية:

إن حرب الخليج الثانية عام 1991 م وانهيار الاتحاد السوفيتي السابق قد رتب معطيات جديدة حررت السياسية الأمريكية مـــن قيود فاعلة، فأتاحت لها فرصة جديدة لتأمين مصالحها ومن ضمنها العودة إلى التفكير السابق لدمج المنطقة العربية بمنطقة أوسع جغرافياً وسكانياً؛ وذلك من خلال ربط الأقطار العربية في الشرق العربي بتركيا وإيران، وإضفاء الشرعية على الكيان الصهيوني من خلال مشروع الشرق أوسطية الذي هو نظام سياسي– اقتصادي – أمني.[8]

وذلك للاستفادة من الموارد والثروات العربية ومنع أي تهديد لمنابع النفط في الخليج العربي التي تسيطر عليها الولايات المتحدة الأمريكية خاصة منذ حـــرب الخليج الثانية عـــام 1991 م والوجـــود العسكري المكثف في المنطقة.

إن مشروع الشرق أوسطية يحقق " لإسرائيل " ما كانت تسعى إليه منذ الخمسينيات من القرن الماضي حتى نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين،[9] لأنه يحقق لها فضلاً عن شـــرعية الوجود، عدداً من المكاسب والأهداف التي تصب في إطار قيام "إسرائيل الكبرى" التي تسعى الحركة الصهيونية إلى إقامتها لتحقيق مشروعها الاستعماري– الاستيطاني في المنطقة الذي تهدف من ورائه إلى ضرب العرب ومشروعهم النهضوي الحضاري. ومن هذه المكاسب والأهداف:

أولاً: تحقيق تعاون اقتصادي مشترك مع الأقطار العربية وعلى الصعد كافة.[10]

ثانياً: فتح الحدود بين أطراف مشروع الشرق أوسطية والمستفيد من ذلك الكيان الصهيوني.

ثالثاً: تخصص كل دولة من دول المنطقة بنشاط اقتصادي محـــدد ضمن تقسيم العمـــل والإنتاج في المشروعات الاقتصادية الكبرى .

رابعاً:أن يكون التعاون الاقتصادي بين دول المنطقة مدخلاً لإنهاء الصراع العربي ــ الصهيوني وحل القضية الفلسطينية وفق المخططات الأمريكية ــ الصهيونية.

خامساً: أن يقوم نظام للأمن الجماعي لدول مشروع الشرق أوسطية بما يحقق الاستقرار الدائم للمنطقة.

سادساً: أن يتم إنشاء صندوق للتنمية لدول المنطقة تشارك فيه الدول الخليجية الثرية. (11)

إن هذه الأهداف والمكاسب الستة التي يحققها المشروع للكيان الصهيوني تجعله يقوم بدور المركز الإقليمي المهيمن.

إن مشروع الشرق أوسطية يرتكز على ثلاث ركائز أساسية: هي الأمن والاقتصاد والسياسة.

فالركيزة الأمنية: هي وضع ترتيبات أمنية مشتركة ودائمة لدول المنطقة منها الحد من التسليح وضمان الأمن الجماعي وتوازن القوى بالشكل الـــذي يحقق الاستقرار الأمني والسياسي لدول المنطقة وتأثير ذلك في المناطق المجاورة. (12)

أما الركيزة الاقتصادية : فهي وضع مشاريع للتعاون الاقتصادي المشترك في شتى المجالات لتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية شاملة تنهي حالة البطالة والركود الاقتصادي.(13)

أمَّا الركيزة السياسية: ومفادها تسوية الصراع العـــربي ــ الصهيوني وفـــق المخططات الأمريكية ــ الصهيونية فضلاً عن بناء علاقات جديدة وسلمية في عموم منطقة الشرق الأوسط.

أمَّا أهداف المشروع فهي بالتأكيد تخدم المخططات الأمريكيةــ الصهيونية وتحقق لها فضلاً عن المكاسب السابقة جملة من الأهداف الأخرى منها:

أولاً / إنهاء المشروع النهضوي العربي ومنع أية وحدة عربية مستقبلية.

ثانياً / إعطاء الكيان الصهيوني شرعية الوجود وإقامة العلاقات السياسية والاقتصادية مع دول الجوار العربي .

ثالثاً / تحقيق الاستقـــرار السياسي والأمني للمنطقة بما يخـــدم السياسة الأمريكية بجعل منطقة الشرق الأوسط منطقة آمنة لحماية آبار النفط في الخليج من أي تهديد لضمان استمرار تدفق النفط إلى الغرب الرأسمالي وبأسعار كما تريدها وتحددها الولايات المتحدة الأمريكية .

رابعاً / جعل العرب أقلية في هذا المشروع مـــن خلال ربطه بدول مجاورة ذات كثافة سكانية عالية لمنع أي توجه وحدوي عربي.

خامساً /جعل التفوق والهيمنة للكيان الصهيوني على هذا المشروع من خلال التفوق التقني والعسكري الصهيوني.

خلاصة القول نستطيع أن نبيّن أن المشروع هو مشروع استعماري يهدف إلى منع العرب من قيام وحدتهم ونهضتهم؛ وذلك عـــن طريق ربطهم بدول مجاورة فضلاً عن إسباغ شرعية الوجود والتعاون مع الكيان الصهيوني، ولهذا المشروع تأثير في مستقبل الأمـــن القـــومي العـــربي لأنه يحقق المفهوم الأمريكي لأمن الخليج العربي ويعمّق الوجود العسكري الأمريكي الدائم والمكثف فيه .

ثالثاً / الأمن القومي العربي:

إن قضايا الأمن في المنطقة كانت ومازالت موضع اهتمام ودراسة قوى دولية عديدة، فضلاً عن اهتمام الأقطار العربية في المنطقة، ولأهمية هذا الموضوع سنحاول أن نبيّن أولاً: الأمن القومي العربي بين النظرية والتطبيق، وثانياً: المفهوم الأمريكي لأمن المنطقة.

1 ــ الأمن القومي العربي بين النظرية والتطبيق:

تناول عدد كبير من الباحثين والمفكرين العرب مفهوم الأمن القومي العربي وسنختار تعريفاً قومياً نعتقد أنه شامل وكامل وهو الذي قدمه الأستاذ أمين هويدي الـــذي قـــال (إن الأمن العربي هو مجموعة الإجراءات التي يمكن أن تتخذ للمحافظة عـــلى أهـــداف وكيان وأمان المنطقة العربية في الحاضر والمستقبل، مع مراعاة الإمكانات المتاحة وتطويرها، أي استغلال المصادر الذاتية للأمـــــة العربية وجعلها الأساس في بناء القدرة وإدراك المتغيّرات التي تحدث من حولنا وفي داخلنا)[14].

ومعنى ذلك أن الأمن القومي العربي هو مشروع شامل وخطة عمل مستديمة ومتطورة ومتغيّرة زيادة أو نقصاً بدلالة الإمكانيات المتاحة والأهداف المرجوة، وبهذا الفهم فإن الأمن القـــومي العربي يحتاج إلى قيادة سياسية واعية ومدركة لطبيعة الأخطار التي تهدد الأمة العربية ومستقبلها الحضاري.

إن الواقع والظروف الدولية الحالية تحتم علينا عدم الانتظار طويلاً بل يتحتم علينا التطلع إلى مشروع بناء إستراتيجية عربية أمنية عاجلة منعاً لتفاقم التفتيت الســـياسي الـــذي تمارسه الإمبريالية الأمريكية من خلال مشروعها الشرق أوسطية، وضرورة إيقاف حالة التدهور الحاصلة في

المنطقة العربية على مختلف الأصعدة السياسية والعسكرية والتنموية، وهذا يتطلب العمل على وضع إستراتيجية شاملة بمنظور قومي يتحدد من خلال توجه عربي ــ قيادي وجماهيري ــ نحو مشروع الوحدة القومية السياسية وأمن المنطقة العربية عبر تحقيق خطوات وحدوية أساسية تكون مقدمات لازمة لبدء عمل منهجي وحدودي وأمني عربي صحيح ومن هذه المقدمات الأساسية والضرورية.[15]

(أ) وحدة السياسة العربية الخارجية.

إن من أهم قضايا الأمن وشروطه الموازنة في العلاقات الدولية بين ضرورات الأمن الخاص وأمن المجاورين إقليمياً ودولياً، وإن ما يحدد السياسة العربية الخارجية هو إمكان مساندتها إستراتيجية الأمن القومي بتكوينها ضغطاً أو تحويلاً حقيقياً في سياسة الدول الأخرى ولصالح الأمن القومي، وإن ما يعبر عن هذه القوة التحويلية هو أن تتكون السياسة العربية عبر الرؤية الصحيحة والموحدة للأعداء والمصالح .

(ب) وحدة السياسة العربية الداخلية .

إن العناية بالأمن القومي العربي تستدعي العناية بالأمن العربي الداخلي الذي يقوم على الاستقرار السياسي والاجتماعي في أي قطر عربي؛ وذلك من خلال تعزيز الديمقراطية الاجتماعية والسياسية، وتأكيد المشاركة الجماهيرية في اتخاذ القرار السياسي المركزي، والعمل على تقليص الفوارق الاجتماعية من خلال تحقيق التنمية العربية الشاملة والقضاء على الأمية وزيادة وعي الجماهير عبر وضع سياسة تعليمية وتربوية وإعلامية موحدة تخدم الأمة العربية ومستقبلها .[16]

(ج) وحدة القيادة العسكرية العربية .

في ظل أوضاع التجزئة الحالية والدفاعات العربية الواهية وعلى الرغم من إمكاناتها الكبيرة لابدَّ من قيام دفاع عربي قومي في إطار إستراتيجية أمنية عسكرية قائمة على قاعدة مناطق دفاع إقليمية خاضعة لقيادة عسكرية موحدة من أجل التغلب على المصاعب المادية والموضوعية التي تحول دون المساندة بين تعاون الأقطار العربية في مجال الدفاع العسكري الناجمة عن فقدان القدرة العربية على الحشد العسكري السريع لمواجهة أي خطر يهدد أي قطر أو جبهة عربية.

إن هذه المقدمات الأساسية والضرورية تعدُّ حداً أدنى لإثبات مصداقية التوجه العربي لتحقيق الأمن القومي للأمة العربية دفاعاً عن وجودها ومستقبلها ضد المخططات الأمريكية ــ الصهيونية التي تحاول تفتيت المنطقة العربية من جديد وتمنع توحدها مستقبلاً من خلال مشروع الشرق أوسطية.

2 ــ المفهوم الأمريكي لأمن المنطقة:

اختلف التصور الأمريكي لأمن المنطقة بعد حرب الخليج الثانية عام 1991م عما كان عليه خلال فترة الحرب الباردة ووجود الاتحاد السوفيتي السابق كقطب موازٍ ومنافس للولايات المتحدة الأمريكية، إذ كان الأمن سابقاً يتطلب منع وصول الاتحاد السوفيتي إلى المياه الدافئة وحماية أمــن المنطقة من الشيوعية سواء كان الاتجاه سوفيتياً أو صينياً ومن القوى الإقليمية الكبيرة، وقد حدد مجلس الأمن القومي الأمريكي الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة بثلاثة أهداف رئيسية هي :ــ[17]

أ . السيطرة على النفط وحــرية المــرور والمــلاحة في الخليج العربي من خلال تأمين التسهيلات العسكرية .

ب .إنشاء القواعد الثابتة ونشر القوات المتحركة لإبقاء الشــرق الأوسط والخليج تحت هيمنة القبضة العسكرية الأمريكية.

ج .الحفاظ على الأنظمة القائمة في منطقة الخليج والجزيرة العربية، فضلاً عن الحفاظ على وجــود "إسرائيل" وأمنها .[18]

إن الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة بعد حرب الخليج الثانية عام 1991م أصبحت تستند إلى الأسس الآتية:

(1) استمرار الوجود الأمريكي المكثف في الخليج العربي عسكرياً واقتصادياً وسياسية عن طريق القواعد العسكرية والاتفاقيات الثنائية مع دول الخليج ومنع القوى الحليفة لها من تحقيق مكاسب مهمة على حسابها في الميادين الاقتصادية على وجه الخصــوص، وبالتأكيد فإن هذا يشمل إبعاد روسيا الاتحادية عن المنطقة أيضاً .

(2) الادعاء بحماية أمن المنطقة من كل من العراق ــ قبل احتلالها ــ وإيران وهو ما يسمى بسياسة "الاحتواء المزدوج" خاصة أن زيارات المسؤولين الأمريكان ومنهم وزير الخارجية ووزير الــدفاع إلى المنطقة أثمرت عن توقيع اتفاقيات ثنائية مع كل من قطر والسعودية التي أصبحت أراضيها ومطاراتها جميعها مفتوحة للقوات الأمريكية .

إن التعهد الأمريكي بحماية أمن المنطقة يشمل أمن الأنظمة السياسية السائدة في فلكها وبالذات أمن الحكام، فضلاً عن الأمن الوطني، ويرتكز أساساً على تخويف الحكام من العراق سابقاً وإيران حالياً لأنَّها تمثل خطراً محتملاً، مع أنها تسمح لإيران بالتسلح وتضخيم قوتها العسكرية لبث الخوف والذعر في نفوس الحكام الخليجيين، ومن ثمَّ إجبارهم على قبول الحماية الأمريكية وشراء المزيد من الأسلحة والمعدات، فضلاً عن دفع مبالغ للولايات المتحدة عن هذه الحماية .[19]

(3) إثارة الخوف في المنطقة من الاتجاهات الإسلامية المتطرفة، خاصة الاتجاه الإسلامي المنبعث من إيران المتمثلة بأحزاب سرية تعمل في المنطقة ومدعومة من إيران .[20]

(4) العمل على تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني سياسية واقتصادياً، وقد أصبح ذلك واضحاً من خلال حضور الوفود الصهيونية في الخليج وغيرها من الدول العربية، وزيارات المسؤولين الصهاينة إلى الأقطار العربية السائرة في فلك التسوية وتخفيف المقاطعة العربية للكيان الصهيوني وإقامة المشاريع المشتركة .

(5) إجهاض أي تقارب عربي يمكن أن يؤدي إلى تحقيق نوع من التضامن العربي أو حماية الأمن القومي العربي .

(6) الإبقاء على التجزئة في المنطقة من خلال تشجيع الخلافات الحدودية وتغليب التناقضات الثانوية خشية تحقيق التضامن العربي أو أي نوع من أنواع الوحدة أو الاتحاد بين الأقطار العربية .

ووفق هذا الإطار طُرِحَ مشروع الشرق أوسطية لتحقق للولايات المتحدة الأمريكية مفهومها الأمني للمنطقة، وهو استمرار بقاء قواتها العسكرية بشكل مكثف، وفي الوقت نفسه إجهاض أي مشروع للأمن القومي العربي يمكن أن يحقق للعرب الاستقرار الدائم.

رابعاً / مستقبل الأمن القومي العربي في ظل الشرق – أوسطية:

إن مشروع الشرق أوسطية الجديد، إذا ما قُدِّرَ له أن يتبلور ويتحقق كما يريده مخططو الغرب والكيان الصهيوني والسائرون في فلكهم من عرب الجنسية الذين لا تهمهم مصلحة الأمة العربية سوف يعني ذلك أن على العرب تغيير تفكيرهم ومنهجهم الأمني والسياسي والاقتصادي لتقبل المشروع الجديد.

إن هذا المشروع يعني في حقيقة الأمر، أن على العرب تغيير شكل وأسلوب عملهم ومؤسساتهم القومية التي تعمل على تحقيق تضامنهم ووحدتهم بالشكل الذي يضمن مستقبلهم ويحقق للأمة العربية نهضتها ومشروعها القومي .

وإذا كان مشروع الشرق ــ أوسطية هو أحد الأنظمة الفرعية النقيضة للنظام العربي وقيمه وتقاليده وقواعده وتوجهاته ومؤسساته فسوف تؤدي صياغته وإخراجه إلى حيز التنفيذ إلى جملة من الأهداف التي تصب في خدمة المخططات الأمريكية الصهيونية وهي :

1. إضعاف الأمة العربية والعمل على زيادة تفتيتها بما يحقق للغرب الرأسمالي الهيمنة الكاملة على المنطقة.
2. إجهاض المشروع القومي العربي في الوحدة والتحرر والاستقلال .
3. إبقاء العرب على هامش السياسة الدولية والحضارة العالمية من خلال استمرارهم كمنتجين للنفط فقط.
4. منع العرب مـــن استخدام نفطهم في خدمة قضاياهم التنموية الشاملة التي تخرجهم مـــن واقعهم المتخلف.
5. إبقاء الوطن العربي سوقاً للمنتجات الغربية بما يحقق للغرب الرأسمالي الازدهار الاقتصادي.
6. تحقيق التطبيع النفسي والاقتصادي بين الكيان الصهيوني وجيـــرانه العـــرب بمـــا في ذلك تصفية التراث الإيديولوجي والسياسي القائم على الحرب والمطالبة بالحقوق المغتصبة.[21]
7. قيام الكيان الصهيوني بدور المركز في هذا المشروع من خلال توجيه السياسات الاقتصادية والأمنية في المنطقة.[22]. وذلك عن طريق مد الأنظمة الرجعية في المنطقة بالخبرات الاستخباراتية وغيرها بما يضمن استمرار بقائها.
8. العمل على تحقيق المفهوم الجديد للأمن الصهيوني (أمن الأعماق) القائم على الربط بين الترتيبات الشرق أوسطية الجديدة والمفهوم الجديد للأمن الصهيوني. فالحدود الجديدة للكيان الصهيوني لن تكون حدوداً جغرافية بل ستكون أعماقاً اقتصادية، وهو ما يسمي (بأمن الأعماق) عن طريق السيطرة على مجريات الأمور السياسية والاقتصادية في المنطقة بأكملها.[23]

إن مشروع الشرق أوسطية يهدف إلى طمس الهوية العربية وزوال النظام العربي من خلال ذوبان الوحدات القطرية العربية في ترتيبات شرق أوسطية اقتصادية وسياسية وأمنية .

إذاً فمشروع الشرق أوسطية يمثل واحداً من أخطر التحديات الجديدة التي تواجه الأمة العربية وأمنها القومي في القرن الحادي والعشرين. وإذا ما تحقَّقَ هذا المشروع فسوف يبقى الأمن القومي العربي والمصير العربي أسيرين للمخططات الأمريكية – الصهيونية التي لا تخدم العرب ومستقبلهم.

وإن مشروع الشرق أوسطية يسعى إلى تحقيق إستراتيجية أمنية جديدة في المنطقة كما تريدها وتخطـط لها الولايات المتحدة الأمريكية بحيث يضمن فرض الهيمنة الأمريكية – الصهيونية الكاملة على المنطقة ويحقق الردع الإسرائيلي كما تحدث عنه رئيس وزراء الكيان الصهيوني بنيامين نتنياهو في كتابه (مكان تحت الشمس)، ويمكن تلخيص العناصر الـرئيسة للبعد الإستراتيجي الأمني لمشروع الشرق أوسطية في النقاط الآتية :[24]

1. إلغاء معاهدة الدفاع العربي المشترك أو تجميدها ووضع العوائق والعراقيل أمامها.
2. إقامة أمن إقليمي جديد بدلاً من الأمن القومي العربي.
3. اتباع سياسة الحدود المرنة في فلسطين بمـا يضمن للكيان الصهيوني التغلغل في الأقطار العربية ولا يسمح للأقطار العربية بالتغلغل في فلسطين.
4. ضمان التفـوق العسكري الإسرائيلي عـلى الأقطار العربية المجاورة لها كمـا ونوعاً لاستمرار وجودها وتحقيق مآربها.
5. استمرار الوجود العسكري الأمريكي المكثف في المنطقة وفقاً للمعاهدات والاتفاقيات العـديدة التي عقدتها الولايات المتحدة الأمريكية مع دول المنطقة في أثناء حرب الخليج الثانية عام 1991 وبعدها.
6. التخزين المسبق للأسلحة والمعدات الأمريكية لتسهيل وصول القوات الأمريكية عند الضرورة.
7. ربط الكيان الصهيوني بمعاهدات واتفاقيات أمنية مع دول الجوار الجغرافي للوطن العربي .
8. إجراء منـاورات عسكـرية مشتركة بين قـوات بعض الأنظمة العـربية مع القوات الصهيونية والأجنبية لتحقيق التطبيع بين الكيان الصهيوني والدول العربية في المجال الأمني.
9. منع انتشار الأسلحة النووية والصواريخ البالستية خـارج الدول النووية الحالية بما يضمن للكيان الصهيوني الانفراد بامتلاكها .
10. الحظر الكامل لأسلحة الدمار الشامل لمنع العرب من امتلاكها .

11. إنشاء مناطق منزوعة السلاح ومناطق حظر للطيران لتسهيل التوسع الإسرائيلي وحرمان الدول العربية من فرصة الدفاع في الوقت المناسب.[25]

إن أخطر ما في البعد الإستراتيجي الأمني لمشروع الشرق أوسطية أنه يضع أمن المنطقة تحت رحمة القوات الأمريكية والصهيونية، ويحرم المنطقة حتى من تنظيم الدفاع عن نفسها، ويقف حائلاً أمام أي تعاون عربي في مجال الدفاع وحماية الأمن القومي العربي .

خامساً / التصورات المستقبلية لضمان الأمن القومي العربي:

في ظل الأوضاع الدولية الراهنة وتردي الوضع العربي في الوقت الحاضر، تقتضي الضرورة مناقشة كيفية استعادة الأمة العربية عافيتها في القرن الحادي والعشرين؛ وذلك بالعمل والتخطيط وضرورة تجاوز أزمة الأمة الحالية وإحباط كل المحاولات الأمريكية والصهيونية لربط المنطقة بمشاريع وأحلاف واتفاقيات ثنائية أو متعددة لا تخدم الأمة العربية ومستقبلها؛ وذلك يدعونا إلى العمل باتجاهين هما:

الاتجاه الأول: العمل ضمن إطار الجامعة العربية بوصفه منظمة عربية تحقق التضامن العربي، وضرورة تطوير هذا العمل بحيث يرقى إلى مستوى التطور الحاصل في العالم في اتجاه التجمعات والتكتلات الاقتصادية والإقليمية؛ وذلك يدعونا إلى تسوية النزاعات العربية بشكل سلمي، والعمل على ضرورة تحقيق التنمية الشاملة في الوطن العربي، وتشجيع العمل على إقامة الاتحادات العربية الثنائية أو الجماعية مثل مجلس التعاون الخليجي والاتحاد المغاربي؛ وذلك لضمان الأمن القومي للأمة العربية.

الاتجاه الثاني: تجديد النظام العربي بحيث يلائم طموحات الأمة العربية والتطور الحاصل في النظام العالمي، وهذا يتطلب تفعيل آليات العمل العربي باتجاه تحقيق الوحدة العربية المستندة إلى أسس علمية وجماهيرية من أجل تحقيق الدولة القومية والعمل بخطوات واسعة لتحقيق نهضة الأمة شاملة.

وفي هذا الإطار يحقق العرب أمنهم القومي ويبتعدون عن الأحلاف والاتفاقيات الثنائية مع الدول الغربية التي لا تخدم سوى مصالح الغرب الرأسمالي وأهدافه في إبقاء المنطقة العربية غير مستقرة ومتخلفة من أجل استنزاف ثرواتنا النفطية والمالية .

إن العمل ضمن هذين الاتجاهين هو الذي يجنب المنطقة العربية الوقوع في فخ الشرق أوسطية الذي يراد منه القضاء على المشروع القومي العربي.

سادساً/ما العمل لمواجهة المخططات والمشاريع الأمريكية على المنطقة العربية:

إن الأمة العربية تعاني في الوقت الحاضر حالة من الضعف والتمزق، والواجب يتطلب منا نحن – العرب- العمل بشكل جماعي ومنظم لتجاوز الأزمة الحالية التي تعيشها المنطقة العربية، والعمل بجد ويقظة لإحباط كل المشاريع والمخططات الأمريكية التي تحاول أن تفرض سيطرتها وهيمنتها الكاملة على المنطقة بما يحقق أهداف الكيان الصهيوني .

وهذا يتطلب من العرب العمل بجدية لتحقيق الأهداف التالية لتجاوز حالة الضعف والتمزق، ولإحباط المشاريع الأمريكية ومنها:

1 ــ العمل على تحقيق التضامن العربي لمواجهة المخططات والمشاريع الأمريكية، ورفض أية مشاريع أو أحلاف تطرح على المنطقة بهدف طمس هويتها العربية .

2 ــ العمل على إقامة منظومة أمنية عربية الهدف منها حماية الأمن القومي العربي ومواجهة المخططات والمشاريع الأمريكية ــ الصهيونية .

3 ــ العمل على دعم الجامعة العربية ومؤسساتها من أجل النهوض بمهامها وتطوير هذه المهام بما يخدم الأمة العربية في هذه المرحلة وصولاً إلى تحقيق أهداف الأمة العربية في الوحدة والتحرر.

4 ــ العمل على تحقيق المصالحة العربية الشاملة وإعادة ترتيب البيت العربي الداخلي، لكي يستعيد العرب مكانتهم في السياسة الدولية لمواجهة المخططات والمشاريع الأمريكية.

5 ــ العمل على إنشاء قوة عربية ضمن إطار الجامعة العربية تكون درعاً لحماية الأمن القومي العربي من التهديدات الأمريكية والصهيونية .

6 ــ العمل على تعبئة الجماهير العربية ضد المخططات والمشاريع الأمريكية، وتعرية هذه المخططات بوسائل الإعلام وبالندوات والمؤتمرات الجماهيرية والعلمية كلّها للوقوف على مخاطر هذه المشاريع على مستقبل الأمة العربية ومشروعها القومي .

7 ــ العمل ضمن إطار المنظمات الدولية العالمية والإقليمية لتعرية المخططات والمشاريع الأمريكية وفضحها من أجل كسب الرأي العام الدولي إلى جانبنا واستصدار قرارات تدين المخططات والأعمال الصهيونية والأمريكية .

إن العمل العربي المشترك ضمن هذه الأهداف أو أية أهداف أخرى، سوف يجنب المنطقة العربية كثيراً من المشاريع والمخططات الأمريكية ــ الصهيونية التي تستهدف الأمة العربية ومستقبلها ومشروعها القومي النهضوي .

وإذا لم يعِ العرب حقيقة ما يجري حولهم وما يطرح ضدهم من مشاريع ومخططات وأحلاف تستهدف أمنهم القومي ومستقبلهم، فإن حالهم في السنوات والعقود القادمة لن يكون أفضل من حالهم في القرن الماضي.

الخاتمة

إن مشروع الشرق أوسطية ينطوي على مخاطر عديدة وحقيقية على حاضر الأمة العربية ومستقبلها، ويعدُّ شكلاً جديداً من أشكال الهيمنة الأمريكية على الوطن العربي والشرق الأوسط ويدعم القدرات العسكرية والتقنية للكيان الصهيوني .

ولذلك فإن القول بأن مشروع الشرق أوسطية سيحقق الأمن والتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي ما هو إلا عبارات خادعة، فالأمن والتنمية الشاملة للأمة العربية هدفان يتقاطعان مع السعي الأمريكي من أجل إبقاء المنطقة في حال من التخلف والتبعية للغرب الرأسمالي الذي يضمن للولايات المتحدة الأمريكية التحكم بالثروات العربية ويحقق للكيان الصهيوني استمرارية البقاء والتفوق الدائم.

ولخطورة مشروع الشرق أوسطية على مستقبل الأمة العربية وأمنها ووحدتها تقتضي الضرورة والمصلحة العربية الوقوف بوجه هذا المشروع، والعمل بجدية من أجل تنشيط دور الجامعة العربية ومؤسساتها لكي تقوم بدور في المصالحة العربية وتحقيق التضامن العربي، وصولاً إلى تحقيق المشاريع العربية المشتركة التي تخدم الأمن القومي العربي والوجود العربي .

كما أننا بحاجة اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى مشروع قومي عربي في مضمونة وأهدافه و توجهاته يحقق المهمات النهضوية للأمة العربية من أجل صيانة المصير العربي والمستقبل العربي .

إن مشروع الشرق الأوسطية يحتاج إلى وقفة عربية تنطلق من أرضية الحد الأدنى لمقاومته عن طريق تنظيم القوى العربية، وشن هجوم استراتيجي مضاد يهدف إلى إنقاذ الأمة العربية وإبعادها عن حالة التنافر والخصام من أجل ضمان مستقبلها وأمنها القومي.

مما تقدم فإن أهم الاستنتاجات التي تم التوصل إليها في هذه الدراسة:

1- إن الأمن القومي العربي يواجه دوماً بإشكالية "القطري" في مقابل "القومي" فالمعلوم أنَّ الدول العربية هي دول مستقلة ذات سيادة، وفي هذا المضمون هناك اختلاف في مفهوم الأمن القومي.

2- التضارب في فهم مفهوم الأمن القومي العربي، فلم يحدد حتى الآن معنى للأمن القومي العربي أو الإقليمي العربي.

3- إن مصطلح "الشرق الأوسط" مصطلح من صنع الدول الاستعمارية. وهو يتسع ويضيق وفق مصالحها "فتارة يشمل المشرق العربي بالإضافة إلى مصر والسودان ودول الجوار تركيا وإيران" وتارة أخري يتسع ليشمل قبرص واليونان وأجزاء من القرن الإفريقي، مما يعني أن المصالح الحيوية للقوى العظمي غير ثابتة، ويمكن أن يتسع طبقاً لأهدافها.

4- على الرغم من أن وجود المعسكر الأمريكي في المنطقة كان أول الأمر بحجة مواجهة نفوذ الاتحاد السوفيتي في المنطقة ، إلا أن انسحاب السوفيت من المواجهة مع الولايات المتحدة بعد الحرب الباردة لم يخفف من وطأة هذا الحشد المتزايد، بل على العكس توسعت رقعة الوجود الأمريكي العسكري في المنطقة .

5- إن الولايات المتحدة تعمل جاهدة من أجل تثبيت ما يسمى بالنظام الشرق أوسطي الجديد أو الكبير وفقاً للتعبير الجديد، وهي بذلك تسعي إلي محو الهوية العربية وأن تستبدل بها الهوية الشرق أوسطية .

6- أتوقع أن تستمر الولايات المتحدة الأمريكية في سياساتها في المنطقة، تلك السياسة التي تسعي لترسيخ المصالح الأمريكية في المنطقة، مادام بقي وجود الأمريكي الغربي فيها، مادام افتقد العرب الحد الأدنى من التنسيق لمواجهة "إسرائيل" .

7- إذاً فمشروع الشرق أوسطية يمثل واحداً من أخطر التحديات الجديدة التي تواجه الأمة العربية وأمنها القومي في القرن الحادي والعشرين. وإذا ما تحقَّق هذا المشروع فسوف يبقى الأمن القومي العربي والمصير العربي أسيرين للمخططات الأمريكية – الصهيونية التي لا تخدم العرب ومستقبلهم .

8- إن أخطر ما في البعد الإستراتيجي الأمني لمشروع الشرق أوسطية أنه يضع أمن المنطقة تحت رحمة القوات الأمريكية والصهيونية ويحرم المنطقة حتى من تنظيم الدفاع عن نفسها ويقف حائلاً أمام أي تعاون عربي في مجال الدفاع وحماية الأمن القومي العربي.

الهوامش

1.Jean Pierre derriennic:Le Moyne orient au xxe siècle,colin 2eedition, paris.1983.p5.

" إن أول من استخدم مصطلح الشرق الأوسط الجنرال ماهان وذلك عام 1902، وهو مؤرخ أمريكي أطلق هذه التسمية على المنطقة المتنازع عليها بين الروس والألمان والبريطانيين ".

2.محمد رياض،الأصول العامة في الجغرافية السياسية، دار النهضة العربية، بيروت،1979،ص292.

3. Jacques de launay et tean_michel char tier :histoire secrete du Petrole9_1984,presse de la cite,paris,1985,p244.

4.يحي أحمد الكعكي،الشرق الأوسط والصراع الدولي،دار النهضة العربية،بيروت،1986،ص 144.

5 . يحي أحمد الكعكي، مقدمة في علم السياسة، دار النهضة العربية، بيروت،1973 ، ص294 .

كذلك انظر: جورج لتشوفسكي، الشرق الأوسط في الشئون العالمية،ج2، ترجمة جعفر خياط، دار الكشاف، بغداد، 1959، ص 593 .

6 . يحي أحمد الكعكي،الشرق الأوسط والصراع الدولي، مرجع سبق ذكره، ص 161 .

7 .مازن الرمضاني، النظام العقيدي والنظام الدولي الجديد، مجلة آفاق عربية، العدد12، ديسمبر 1991، ص 30 .

8 . مازن الرمضاني، النظام الشرق أوسطي الرؤى الإسرائيلية والأمريكية، مجلة آفاق عربية، العدد30،مارس 1994، ص 24.

9 . شمعون بيرس، الشرق الأوسط الجديد، دار الجليل، عمان،1994، ص 108 .

10 . المصدر نفسه، ص 106 .

11 . المصدر نفسه، ص 132 .

12 . شمعون بيرس، المصدر السابق، ص 85 .

13 . المصدر نفسه، ص ص 133 ــ 134.

14 . أمين هويدي، الأمن القومي المستباح، مجلة المنابر، العدد9،1986،ص 22 .

15 .قاسم العتمة، الأمن القومي العربي والوحدة القومية، مجلة الوحدة، العدد28،يناير1987، ص ص 48 ــ 49 .

16 . شفيق السامرائي وآخرون،الأمن القومي العربي : الواقع والمستقبل، منشورات الجمعية العراقية للعلوم السياسية، بغداد 1988، ص 67 .

17 . غازي فيصل، السياسة الأمريكية بين الهيمنة وتصدير العنف، مجلة أم المعارك، العدد1 يناير 1995،بغداد ص 88 .

18 . ريتشارد نيكسون، ما وراء السلام، ترجمة مالك عباس، الأهلية للطباعة والنشر، عمان، 1995، ص 148 .
19 .المصدر السابق، ص 155 .
20 . المصدر نفسه، ص 87 .
21 . شمعون بيرس، مصدر سبق ذكره، ص 70 .
22 . المصدر نفسه، ص ص 86 ــ 87 .
23 . حميد الجميلي، الاقتصاديات العربية من هاجس التنمية العصية إلى هاجس الشرق أوسطية، مجلة أم المعارك، العدد1 يناير 1995، بغداد ص 71 .
24 . مجموعة من الباحثين، الشرق أوسطية مخطط أمريكي صهيوني، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998، ص ص 63 ــ 64 .
25 . المصدر نفسه، ص 64 .

المراجع

1. الجميلي، حميد، الاقتصاديات العربية من هاجس التنمية العصية إلى هاجس الشرق أوسطية، مجلة أم المعارك، العدد1 يناير1995 .
2. الرمضاني، مازن، النظام الشرق أوسطي الرؤى الإسرائيلية والأمريكية، مجلة آفاق عربية، العدد30،مارس 1994.
3. الرمضاني، مازن، النظام العقيدي والنظام الدولي الجديد، مجلة آفاق عربية، العدد12، ديسمبر 1991.
4. السامرائي، شفيق، وآخرون،الأمن القومي العربي : الواقع والمستقبل، منشورات الجمعية العراقية للعلوم السياسية، بغداد 1988.
5. العتمة، قاسم، الأمن القومي العربي والوحدة القومية، مجلة الوحدة، العدد28،يناير 1987 .
6. الكعكي، يحي أحمد، الشرق الأوسط والصراع الدولي، دار النهضة العربية، بيروت، 1986.
7. الكعكي، يحي أحمد، مقدمة في علم السياسة، دار النهضة العربية، بيروت، 1973 .
8. بيرس، شمعون، الشرق الأوسط الجديد، دار الجليل، عمان،1994.
9. رياض، محمد، الأصول العامة في الجغرافية السياسية، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.
10. فيصل، غازي، السياسة الأمريكية بين الهيمنة وتصدير العنف، مجلة أم المعارك، العدد1 يناير 1995.
11. لتشوفسكي، جورج، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية،ج2، ترجمة جعفر خياط، دار الكشاف، بغداد،1959.
12. مجموعة من الباحثين، الشرق أوسطية مخطط أمريكي صهيوني، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998.
13. نيكسون، ريتشارد، ما وراء السلام، ترجمة:مالك عباس، الأهلية للطباعة والنشر، عمان، 1995.
14. هويدي، أمين، الأمن القومي المستباح، مجلة المنابر، العدد9،1986 .
15. Jean Pierre derriennic:Le Moyne orient au xxe siècle,colin 2eedition, paris.1983.
16. Jacques de launay et tean_michel char tier :histoire secrete du Petrole9_1984,presse de la cite,paris,1985.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2011/2/23.